

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان -

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم التاريخ

الأستاذة: قرناشي إيمان

المستوى: سنة ثانية ليسانس

المقياس: النهضة الأوروبية

المحاضرة الثانية:

الإصلاح الديني في أوروبا خلال القرن 16م وما بعده

شهدت أوروبا في القرن السادس عشر، أعظم ولادة لحركة الإصلاح الديني البروتستانتية في تاريخ أوروبا، تلك الحركة التي انطلقت من ألمانيا بزعمارة (مارتن لوتر) 1483م . 1546م) ثم انتقلت إلى سويسرا بزعمارة (أولريخ زوينجلي 1484م . 1531م (وإلى فرنسا وجنيف بزعمارة (جون كالفن 1509م . 1564م).

تعريف الإصلاح الديني

أنّ مصطلح الإصلاح الديني Reformation يستعمل لوصف الحركات الدينيّة التي اجتاحت أوروبا في القرن السادس عشر الميلادي. إذ كانت كلها تدعو إلى إصلاح الكنيسة، وتخليصها من الشوائب والممارسات الخاطئة، بتمسكها بحقها وحدها في تفسير أحكام الدين وتطبيقها على النحو الذي تراه، ومنع الآخرين من هذا الحق، ولاسيما قضايا الإيمان، وممارسة الأسرار المقدسة، وسيطرة الكنيسة على تربيّة الأفراد والتزامهم حيالها، واحتكارها منح صكوك الغفران. تمخضت حركة الإصلاح عن ظهور ما يعرف بالكنائس الإنجيليّة. تلك الكنائس التي جاءت بتأويل جديد يفقد الكنيسة احتكارها النص وتفسيره وإقامتها الطقوس التي تحول من دون فهم النص وتفسيره وخصوصاً عبر إصرارها على ابقائه باللغة اللاتينيّة، حتى تكون وحدها من يفسره ويفهمه، مما خلق صراعاً بين الكنيسة وخصومها على امتلاك الصراط المستقيم بين الدين الطقسي الكنسي أو الإيمان كديانة ضمير فرديّة. بداية الإصلاح:

مهّدت عدة عوامل دينية وسياسية واقتصادية واجتماعية وأخلاقية وفكرية وفنية، السبيل لولادة حركة الإصلاح الديني البروتستانتية في القرن السادس عشر بزعمارة (مارتن لوتر) و (جون كالفن) مروراً ب (زونجلي)، ففي ألمانيا طلب مجلس (الدايت) في أوجسبورج بضرورة إعادة المبلغ الكبير من المال إلى ألمانيا من روما في اليويل عام 1500م، وهو ما كانت تحوّلها ألمانيا إلى روما في عهد البابوية آنفذ إذ كان البابا قد سحب من ألمانيا دخلاً يزيد مائة مرّة عما يستطيع هو نفسه أن يجنيه منها حسب تقدير

الإمبراطور (ماكسميليان) لذلك، وفي عام 1510م طالب الألمان بضرورة وضع حد لتدفق الأموال الألمانية إلى إيطاليا، وبمعنى أوضح إلى نهضة إيطاليا التي تمّول الشعر والفن بالذهب الوارد إليها من وراء جبال الألب.

وثمة تغيرات ومواقف أدت إلى تعميق التناقض بين الجماهير والكنيسة الكاثوليكية والبابا، والإسراع نحو إشعال فتيل الثورة، فتناقض رجال الدين مع دعوة الجماهير إلى التمرد على البابا، ولّد روحاً ثائرة من الكراهية والحقد بين الكنيسة ورجال الدين من جهة، والجماهير من جهة أخرى، في مختلف أرجاء ألمانيا، كما صدرت كتّيبات عنيفة للهجة ضد الكنيسة والكرسي الأسقفي الروماني، ناهيك عن التناقض بين بعض رجال الدين من الرهبان والقساوسة في أبرشياتهم مع كبار رجال الدين بسبب الترف الذي يعيشون فيه، وهكذا فقد كان الوضع مهيباً للثورة ضد روما وكنائسها الموالية في ألمانيا، فكانت مجموعة من العوامل والأسباب التي سبق ذكرها، تتجمع في إعصار يقذف بأوروبا إلى أعظم فورة لم تشهدها منذ غزو البرابرة لروما، ولعل إفراط الكنيسة الكاثوليكية في الظلم، ونهب أموال الولايات الأوروبية، وتدخل رجالها في كل شيء إلى حد سمحت فيه الكنيسة لنفسها حتى بالتنقيب عما يعتمل في قلوب الناس التي سترها الله، وإنزال أشد العقوبات قسوة على من يتهمونها بالخروج عن مبادئ الدين، الأمر الذي أدى إلى تحريك الشعوب ومفكرها في مواجهة تلك السياسة الظالمة، وليس بخاف أنّ سياسة فرض الضرائب وجباية الإتاوات التي هي من حُلق الجباة العشارون، وليس من أخلاق رجال الدين الأتقياء، فضلاً من منح بعض الأشخاص سلطان الله في مسح الخطايا لما تقدم منها وما تأخر بعد الاعتراف، وطباعة صكوكاً تباع وتشتري لنيل الغفران، قد ولّد حالة تمرد وانفجار تعود بداياتها الأولى إلى مطلع القرن الثالث عشر، القرن الذي وجدت فيه بذرة النهضة الأوروبية اللاحقة. التي مثلت نهضة للإرادة الإنسانية ويقظة للعقول، أسهم فيها بنصيب وافر اتصال الغرب بالشرق وما نجم عن ذلك من تمازج ثقافي وتأثر كبار المفكرين الأوروبيين بفكر أساتذة الإسلام ومشاهيرهم، كـ (الفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد) وغيرهم، وما نتج عن ذلك من اعتقاد الأوروبيين: "بأن لا سلطان لأحد من رجال الدين على القلب وأنّ لا واسطة بين الله والعبد وأن الله قريب ممن يدعو ويحب دعوة الداعي إذا دعاه" ()، وبأنه غافر الذنوب وح

ده، والمجزي والمثيب وحده. وأما المجاهرة بالدعوة للإصلاح الديني منذ القرن الخامس عشر، حتى ولادة حركة الإصلاح البروتستانتية في العقد الثاني من القرن السادس عشر قد ابتدأت بدعوتي (جيروم) و (هس) اللذين أعدموا حرقاً بالنار بقرار من (مجمع كونستانس) الذي انعقد من سنة 1414م إلى سنة 1418م، ذلك لأنهما دعيا الكنيسة إلى عدم الأخذ بما يسمى بسر الاعتراف، مبينين أنّ الكنيسة ليس لها سلطان في محو الذنوب والآثام أو في تقييدها، وإنما التوبة مع رحمة الله هي التي تمحو الآثام وتطهر النفس من الخطايا، كما كان لدعوة (ويكلف) أثرها في إذكاء روح التمرد والاحتجاج على الكنيسة الكاثوليكية والبابا. فقد كتب كاتب كاثوليكي متعصب يصور موقف (هس) و (جيروم) من المجمع الذي انعقد بشأنهما قائلاً:

"... وكان المجمع قد عرض عليه . على هس . صورة الرجوع عن (ضلاله) فأبى أن يمضيها وبقي مصراً على غيّه... على عناده

ورفيقه جيروم حتى نالا العقاب نفسه" () ،وبعد ذلك ابتدأ رجال الإصلاح بدعوة هادئة لتحقيق الإصلاح، كما فعل (أرازموس 1465م إلى 1536م) إذ دعا الناس إلى قراءة الكتاب المقدس وإلى تهذيب عقولهم وتنمية مداركهم، فجاءت دعوته موجهة إلى الحكام المستنيرين وإلى رجال الكنيسة أنفسهم... نابذاً استخدام العنف سبيلاً لتحقيق الإصلاح، وليس كما فعل (لوثر) في ثورته العنيفة لاحقاً وما أسفرت عنه من مَسِّ سلطات الكنيسة الكاثوليكية والنيل من قداستها.

ولعل دعوة (أرازموس) للقيام بإصلاح سلمي للكنيسة كانت قد رددتها دعوة (توماس مور 1478م. 1525م) في إنجلترا إذ دعا إلى تحقيق الإصلاح الكنسي بالطريق السلمي فدعا بنفسه إلى وجوب احترام سيادة البابا، بوصفه السلطان الديني على الجميع، دون أن يتمكن من قطف ثمار تلك الدعوة، لكن انتقال أفكار الإصلاح من المفكرين إلى الشعوب واصطدام الكنيسة بأراء المفكرين الثوريين وبعض الأمراء، جعل انتقادهم للكنيسة عنيفاً، وجعل خطوات الدعاة الجدد للإصلاح (لوثر)، (زونجلي) و (كالفن) أسرع مما يريد أصحاب الاتجاهات السلمية من أمثال (توماس مور) و (أرازموس).

- ثورة مارتن لوثر

وعندما دخلت أوروبا القرن السادس عشر، وهو منهل العصور الحديثة ظهرت الدعوة إلى الإصلاح بشكل عنيف، فقد ظهر في ألمانيا مارتن لوثر الذي ثار على كنيسة روما في العصور الحديثة، وهو أبرز من حمل راية العصيان بوجه البابا، ولد مارتن لوثر في مقاطعة سكسونيا الألمانية سنة 1483 ودرس الحقوق لكنه لم يكمل دراسته الجامعية فانظم إلى سلك الرهبنة سنة 1505، وتفرغ في دير القديس اغسطينوس مدة ثلاثة سنوات للزهد والعبادة والتأمل ثم حصل على شهادة الدكتوراه في علم اللاهوت ثم على كرسي الأستاذية في جامعة قتنبرغ حيث درس الفلسفة واللاهوت وكانت فلسفة لوثر في الإصلاح تقوم على ان الإيمان يأتي في المقام الأول، وهو قبل الأعمال باعتباره طريق الإنسان الوحيد للخلاص، أما الأعمال فلا جدوى منها فالحج والاحتفالات الدينية وإيقاد الشموع وعبادة المخلفات الدينية هي في رأي لوثر عقبات في طريق الخلاص، فالغفران هو الثواب بالإيمان.

لم تشعر الكنيسة بخطر هذه الأفكار إلا حين تصدى لوثر سنة 1517 لراهب أرسلته البابوية إلى ألمانيا لبيع صكوك الغفران حيث كانت بحاجة إلى الأموال لصرفها في إصلاح كنيسة القديس بطرس، ان بيع صكوك الغفران لم يكن مقبولاً من قبل حكام ألمانيا ومثقفها الذين كانوا يرون في بيع هذه الصكوك ضياعاً للثروة القومية الألمانية لصالح روما والايطاليين في وقت تحتاج فيه ألمانيا لهذا المال لمعالجة مشاكلها الاجتماعية والاقتصادية الكثيرة، أما مارتن لوثر فقد كان ينظر للموضوع من زاوية عقائدية صرفة ، كان يعتقد ان الغفران لا يأتي إلا عن طريق الإيمان برحمة الله، وليس من حق الكنيسة ورجال الدين ان يمنحونه للناس لأنه هبة من الله للتأبين وقد استغل لوثر فرصة اجتماع الناس في كنيسة قتنبرغ سنة 1517 وعلق على باب الكنيسة إعلاناً يتألف من 95 بنداً ضمنه آراءه وموقفه في قضية صكوك الغفران وقضايا أخرى كثيرة، فكان ذلك بداية للثورة اللوثرية التي انتشرت بسرعة بين الناس والتي قادت إلى تأسيس الكنيسة البروتستانتية المستقلة عن الكنيسة الكاثوليكية على أساس إقامة الكنائس الوطنية ولعل أخطر ما طرحه لوثر مناداته انه ليس من حق البابا احتكار نفيس الكتاب المقدس لأن كل إنسان عاقل ومدرك باستطاعته بل ومن حقه تفسيره وفق مداركه

ومنهجه.

أصدر الباب ليو العاشر يندد بأفكار لوثر يهدده بالحرمان ، إلا أن لوثر رد على ذلك بحرق المنشور البابوي علنا يوم عيد الميلاد سنة 1520 مما أدى إلى صدور قرار بابوي بالحرمان، لكن أفكار لوثر انتشرت وكثر أتباعه ولم ينفذ قرار المجمع الديني سنة 1521 بإعدامه، فقد هرب لوثر بمساعدة صديقه وظل مختبئاً لمدة سنة ومع هذا اعتنق العديد أفكار لوثر وتجاوب الناس معها فظهرت إلى الوجود الكنيسة البروتستانتية.

إندلاع الثورة ضد الكنيسة في ألمانيا ونتائجها:

استغل مارتن لوثر كل العوامل الدينية والدوافع السياسية والاقتصادية وسخرها لنجاح حركته حيث استمال بأفكاره الفلاح والعامل والاقطاعي والأمير وحتى رجل الدين، ومن حسن حظ لوثر أن الفترة التي ظهرت فيها ثورته كانت فترة اضطرابات تمثل في غضب الطبقة الوسطى التي فقدت مركزها الاجتماعي بعد ضعف مركزها الاقتصادي وغضب الفرسان الذين فقدوا مكانتهم بعد تراجع الاقطاع وغضب الأمراء نتيجة هيمنة الكنيسة على موارد الأرض التي حرموها منها في إماراتهم وتدمر طبقة الفلاحين نتيجة أوضاعهم المزرية (الاقطاع).

وهكذا فإن ثورة مارتن لوثر استفادت من دعم كل هذه الفئات، غير أنه تخلى بعد ذلك عن الفلاحين والفرسان (فسر ذلك بأن دوافعهم اجتماعية واقتصادية وليست دينية)، وبقي متحالفاً مع أمير سكسونيا هذا الأخير أصدر أمراً بمنع صكوك الغفران في ولايته، ورفض دعوة البابا للقبض على لوثر، وهو ما شجعه على مواصلة حركته الإصلاحية فقام بترجمة الكتاب المقدس إلى الألمانية لغة الشعب البسيطة، فأطلع الناس عليه وزاد أتباعه، وعندما لاحظ الامبراطور شارل الخامس تفاقم الثورة والخلافات الدينية عقد مجلساً إمبراطورياً (1529م) قرر فيه الدعوة إلى الحد من سلطة البابا وعدم إغضاب اللوثرية لكن دون السماح لحكام الإمارات إختيار مذهب ديني جديد، وقد أثارت هذه القرارات غضب الحركة اللوثرية التي أعلنت أنها لا تعترف بها ووقع على عريضة الاحتجاج خمسة أمراء وأربعة عشر حاكماً من حكام المدن الألمانية، أطلق فيما بعد على هؤلاء اسم " المحتجين البروتستانت". وبذلك فإن كثيراً من أمراء المقاطعات الألمانية انظموا إلى الحركة اللوثرية التي اتخذت اسم " يحتج" لأن اللوثرين أعلنوا احتجاجهم على قرارات المجمع الامبراطوري (1529م)، وسرعان ما عادت الاحتجاجات، وفي عام 1546م توفي لوثر وشهدت ألمانيا مواجهات مسلحة بين القوات الامبراطورية والقوات البروتستانتية وقد انهزم البروتستانت، إلا أنه سرعان ما طلب الأمراء الألمان المساعدة من ملك فرنسا، فوصلت المساعدة وانتصروا ففر الامبراطور شارل الخامس إلى اسبانيا تاركاً أخاه فرديناند لتسوية الخلاف ونجح في عقد اتفاق بين الطرفين تمثل في صلح أوجزبرج (1555م)، نص على:

- حق كل إمارة اختيار المذهب أو العقيدة الدينية ولكل حاكم الحق في اختيار المذهب في اقليمه.

- تحريم العنف ضد أية ولاية اعتنقت المذهب اللوثيري وكذلك بالنسبة للولايات التي بقيت على ولائها للكنيسة ومعتنقة للمذهب الكاثوليكي.
- من حق أي فرد لا يرضيه المذهب الموجود في الإمارة مغادرتها إلى الإمارة الأخرى بما يتوافق ومذهبه.
- فيما يخص أملاك الكنيسة تبقى في يد حكامها اللوثيريين التي تحولت إلى اللوثيرية قبل 1552م، أما بعد هذا العام فتعود الأملاك إلى الكنيسة الكاثوليكية في روما.
- يخول للأساقفة الحق في اختيار المذهب الديني الذي لا يريدونه وكل أسقف لا يتحول الى المذهب البروتستانتي لا بد أن يترك أسقفيته ويفقد وظائفه الدينية وفي هذه الحالة يتم انتخاب أسقف كاثوليكي آخر يتولى مهمة وتسيير إيرادات وأملاك الكنيسة.
- وبذلك أرسى هذا الصلح التسامح الديني ومبدأ الحرية للفرد (الدينية)، ويلاحظ على هذا الصلح أنه لم يعترف إلا بمذهب واحد خارج الكنيسة وهو البروتستانتي اللوثيري، وتجاهل أنصار زونجلي في سويسرا وكالفن في . وما يلاحظ كذلك أن هذا الصلح لم يكن يملك سلطة تنفيذية جبرية ترجع للكنيسة أملاكها المنتزعة بعد عام 1552م من طرف البروتستانتين، الذين لم يلتزموا حرفيا بما جاء في القرار وهو ما أدى إلى عودة الصراع الديني (حروب الثلاثين عاما 1618-1648م)، وقد أدى هذا الصلح كذلك إلى انقسام ألمانيا دينيا وهزيمة للبابوية والكنيسة التي فقد نصف ألمانيا.

إنتشار البروتستانتية في بقية أوروبا

جون كلفن

ولد سنة 1509 في فرنسا ودرس علم اللاهوت في جامعة باريس، وأطلع على آراء المصلحين أمثال مارتن لوثر، وغادر فرنسا بسبب اضطهاد الملك فرانسوا الأول للبروتستانت ، فاستقر في سويسرا سنة 1536 وهناك أصدر كتابه المشهور ((تنظيمات الدين المسيحي)) وقد استطاع بمساعدة الذين وفدوا إليه من مختلف بلدان أوروبا ان يقين في جنيف حكومة دينية بقي رأسها حتى وفاته سنة 1564

اولريخزونجلي

في سويسرا نفسها ظهر مصلح آخر هو (اولريخزونجلي) الذي بدأ دعوته في مدينة زيورخ بعد ان تثقف على أفكار المصلحين المعارضين أمثال (ارازم) وقرأ في الدراسات الأفريقية والرومانية القديمة وقد بدأ ببث أفكاره من خلال وعظه في كنيسة زيورخ الكبرى ، فأصبح له أتباع كثيرون وتوسعت هيمنته مما أدى إلى انقسام المقاطعات السويسرية بين بروتستانت والكاثوليك فكانت حصة زويخلي ست مقاطعات سويسرية وبعض المدن في جنوب ألمانيا.